

شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / عقيدة وتوحيد / الكتب السماوية والرسائل



الأنبياء قبل النبوة (خطبة)

ساير بن هليل المسباح

[مقالات متعلقة](#)

تاريخ الإضافة: 29/5/2023 ميلادي - 9/11/1444 هجري

الزيارات: 3889



الأنبياء قبل النبوة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: 70، 71؛ أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن أكثر الناس كملاً واتصافاً بصفات الجمال وحسن الأخلاق، ما كان عليه أنبياء الله تعالى عليهم السلام، وهم الذين أمرنا الله تعالى باتباعهم والتشبه بأخلاقهم؛ فهم قدواتنا وأُسُوتنا الحسنة في هذه الحياة؛ كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِ } [الأنعام: 90]، وقال سبحانه للمؤمنين: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: 21].

وقد يقول قائل: إن هؤلاء أنبياء الله تعالى، والنبوة من لوازمها أن يتصف المرء بصفات حسنة، وأن الله تعالى يُلهمه هذه الصفات، وينقيه من صفات السوء، فكيف لنا أن نكون مثلهم، ذلك مطلب عسير، وأمر شاق.

ونقول للذين يرون هذا الرأي، ويستصعبون أن يكونوا مثل صفات الأنبياء، تعالوا وانظروا إلى الأنبياء قبل أن يكونوا أنبياء، حين يكون بشرًا مثل بقية البشر، لا وحي ينزل عليهم، ولا معجزات تقع بين أيديهم.

وقد ذكر الله تعالى شيئاً من حال بعض أنبيائه قبل أن يكرمهم بالنبوة، فانظروا حالهم وهم بشر كبقية البشر لا يزدون عليهم بشيء.

وذكر الله من أنبيائه في هذا الأمر أربعة أنبياء؛ لوط عليه السلام، وموسى عليه السلام، ويوسف عليه السلام، وداود عليه السلام.

هذا في القرآن، أما في السنة، فهي زاخرة بصفات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فماذا كانت صفات الأنبياء قبل النبوة:

فنبى الله لوط عليه السلام كان المؤمن الوحيد الذي آمن بإبراهيم عليه السلام؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت: 26].

فصفة لوط قبل النبوة أنه صدق بالحق وآمن به، وأسرع إليه مع انعدام المؤمنين بإبراهيم، ولم يُرهَبْ كثرة المعاندين، ولم يمنعه قوتهم وسلطانهم وفعلهم بإبراهيم، من الإيمان بالحق.

فهذه الصفة الأولى: الاستجابة للحق وتصديقه، وإن قلَّ المؤمنون به.

أما نبي الله داود؛ فقد قال تعالى عنه: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 251].

وإذا قرأت قصة طالوت وجالوت من بدايتها في سورة البقرة، ورأيت جَوَّ الضعف ثم التخاذل والاعتراض على ملك طالوت، ثم عصيان أمر طالوت في شرب الماء، ثم اليأس في مواجهة جالوت وجنوده.

عرفت من هو داود الجنديُّ المقاتل في صفوف طالوت ضد جالوت وجنوده، فهو من القلة القليلة التي امتنعت من شرب الماء، وهو من القلة القليلة التي قال الله عنهم: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ * وَلَمَّا بَرَرُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 249، 250].

داود هنا لم يكن يطمع في نبوة أو ملك، إنما اصطف مع المقاتلين مجاهدًا في سبيل الله تعالى، وناصرًا للحق، ودافعًا للظلم.

وهذه الصفة الثانية من صفات الأنبياء قبل النبوة: نصرة الحق قبل كل شيء، لا طمعًا في دنيا، ولا استنكافًا عن أصحاب الحق، ولو كانوا أقل مكانة في المال أو النسب أو الجاه، فهو لم يضع الاعتبارات التي وضعها الآخرون: ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: 247].

فالمقاييس الدنيوية مرفوضة عند العباد الصالحين.

النبي الثالث الذي اهتم القرآن به من حين ولادته هو نبي الله موسى عليه السلام؛ وهو النبي الذي ترافقك سيرته في القرآن وليدًا ورضيعًا وشابًا، ثم غريبًا وعاملاً، ثم الفضل الكبير بعد ذلك النبوة وما أدراك ما النبوة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم وللمسلمين من كل ذنب وإثم وخطيئة؛ فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره، واتبع سنته إلى يوم الدين.

وأما النبي الرابع الذي ذكر الله تعالى صفاته قبل أن يكون نبياً، فهو نبي الله يوسف عليه السلام؛ **وأولى صفات يوسف عليه السلام قبل النبوة** هو برُّه بأبيه واستماعه لأمره، بلا مخالفة له: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يوسف: 5]، وظلَّت هذه الرؤيا سرّاً بين الابن وأبيه، حتى اللحظات الأخيرة: ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: 100].

والصفة الثانية من صفات يوسف عليه السلام قبل النبوة هي صفة العفاف ومراقبة الله عز وجل: ﴿ وَرَاودَتْهُ الْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: 23].

هذا يوسف في شبابه وجماله وغربته أمام امرأة العزيز تغريه بالفحشاء، فيمتنع خوفاً من الله عز وجل، فماذا يقول الذين يسعون خلف الفاحشة سعيًا، ويصبحون ويمسون وهي شغلهم الشاغل في إغراء النساء وتصيدهن بكل المجالات الممكنة؛ من أجل الوصول إلى لذة محرمة؟ هذا نبي الله يوسف قبل النبوة، وهذا أنت أيها الساعي نحو الفاحشة، فانظر تخليد الله تعالى لذكر يوسف في كتابه إلى يوم الدين، وانظر إلى سواد وجهك وعظم ذنبك، أمام الله تعالى، تعيش كما تعيش البهائم ركضاً نحو الفاحشة، وإفساداً في أعراض المسلمين.

والصفة الثالثة من صفات يوسف عليه السلام بذل العلم للناس ونشره بينهم: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ [يوسف: 37].

والصفة الرابعة من صفات يوسف عليه السلام الإحسان إلى الناس، ولعل هذه الصفة صفة لازمة ليوسف: ﴿ نَبَيْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: 36].

ويتجلى هذا الإحسان في موقفه من الناجي من الموت، وقد طلب منه تذكير صاحب الشأن بحاله في السجن: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاءَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف: 42]، ثم كان موقف يوسف منه لما طلب تأويل رؤيا الملك: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف: 45]، فأولها يوسف له دون عتاب أو سؤال.

والصفة الخامسة في صفات يوسف عليه السلام صفة العفو؛ كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: 92]، هكذا يُنهي معاناة السنين، وآلام الأيام، وغربة السجين، بكلمة واحدة: ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: 92]، وبعض الناس يؤذى بأقل من ذلك، فيظل حاملاً في صدره على أخيه، مكابراً على العفو، لا يرضى ولا يتنازل، بل يشترط ويتطلب، فأين هو وأين يوسف عليه السلام؟

هذه بعض صفات الأنبياء عليهم السلام قبل أن يكونوا من الأنبياء، حين كانوا بشراً مثل الناس، لا يطمعون في نبوة ولا رسالة.

وهذه صفات ليست من الصعوبة بمكان؛ فباستطاعة المرء أن يتمثلها ويتصف بها، ويكون حال الأنبياء قبل نبوتهم.

نسأل الله تعالى أن يجملنا بأحسن الصفات، وأن يهدينا إلى أحسن الأخلاق، وأن يصرف عنها سيئها؛ إنه على كل شيء قدير.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك المجاهدين، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، اللهم إنا نسألك حبك وحب عمل يقربنا إلى حبك، اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم احفظنا بحفظك، ووفقنا إلى طاعتك، وارحمنا برحمتك، وارزقنا من رزقك الواسع، وتفضل علينا من فضلك العظيم، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم أصلح إمامنا ولي أمرنا، واحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كيد الكائدين، وفجور الفاجرين، واعتداء المعتدين.

{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الصفات: 180 - 182].

حقوق النشر محفوظة © 1445هـ / 2024م لموقع [الألوكة](http://www.alukah.net)
آخر تحديث للشبكة بتاريخ : 14/8/1445هـ - الساعة: 22:28